اِبدعات أبي الهنديّ الشعرية و مَدَيٰ تأثّر أبي نواس بخمرياته
(رؤية نقدية تحليلية)

أياد ميرشكارى
طالب الدكتوراه ، قسم اللغة العربيه وآدابها ، كلية الآداب والعلوم الانسانية ،
جامعة آزاد الاسلامية ، فرع طهران مركزي ، طهران ، إيران
Ayadfeyli@hotmail.com
الدكتوره زهرا خسروى ومكانى (الكاتبة المسؤولة)
استاذة مُشارِكة ، قسم اللغة العربية وآدابها ، كلية الآداب والعلوم الانسانية ،
جامعة آزاد الاسلامية ، فرع طهران مركزي ، طهران ، إيران
zah.khosravi–vamakani@iauctb.ir

Abu al-Hindi's poetic innovations and the extent to which Abu Nawas was affected by his wines (a critical and analytical vision)

Eyad Mirshekari
PhD student of Arab language and literature , faculty of literature and humanities , The Islamic Azad University , central branch , Tehran , Iran
Dr. Zahra Khosravi Vamakani (Corresponding Author)
Associate professor of Arab language and literature , faculty of literature and humanities , The Islamic Azad University , central branch , Tehran , Iran

الملخّص :

تُعدّ قضيةُ السرقات الشعرية وتأثُّر شاعرٍ أو أديبٍ ما بشعرِ وافكار شاعر أو اديب آخر والذي يعرَفُ في الادب الحديث بالتناص أو التعالق النصيّ من أهمّ قضايا النقد منذ القدم الي يومنا هذا وقد اهتمّ بها وفطن اليها النُقاد قديماً وحديثاً حتي لا يكاد يخلو من ذكرها اَيّ كتاب نقديّ فهو موضوع عريض الجاه في الأدب العالميّ والعربيّ لطول حياته وكثرة انواعه واتّصاله بآداب عديدة وعلوم وفلسفات.

اما المنهج المُتبَع في هذه الدراسة فهو المَنهج الوصفيّ - التحليليّ حيث تمّ تناول النصوص وتحليلها بالاضافة الي المنهج الفنّي في دراسة الشكل الفني والجمالي فضلاً عن المنهج النفسيّ في كشف دوافع اتّجاه أبي الهنديّ الي شعرِ الخمر والدوافع الكامنه وراء ذلك.

وفي الختّام ومن خلال النماذج المذكورة تصل هذه الدراسة الي' أن أبانواس قد تأثّر بشعر أبي الهنديّ وقد إستقَي' بعضاً من معانيه في وصف الخمريات لكنّ ليس بالصورة المُكبّرة والمُبالَغ فيها كما وردتْ في كتاب «الأغاني» وكتابات بعض الباحثين الآخرين ومما لاشكّ فيه انّ الناقد يبتعد عن الصواب ابتعاداً اذا نَسَب دوماً قضية التشابُه في المضامين واشتراك المعاني بين الشعراء الي تعمّدهم لانتحال المعاني والمضامين بعضهم من بعض الأنّ الأمر قد يكون أعمق من هذا وقديكون مردّه في بعض الاحيان الي وحدة الشعور الانساني كما يتبين ذلك في دراسة الادب المقارن في شتيّ اللغات لمختلف الامم في سائر الزمان والمكان.

الكلمات المفتاحيه : الخمريات ، ابو الهنديّ الرياحيّ ، أبونواس ، التناص ، السرقات الشعرية .

Abstract:

Plagiarism and intertextuality are historically some of the most important discussions of literary criticism and critics have always placed an emphasis on these issues in their works and study so far as we can boldly say there are no books on literary criticism which have not addressed these issues in some way. These discussions are also very much widespread with many links to various fields of study.

This study uses descriptive-analytic method with reference to Abū l-Hindi and Abu-Nuwas' poems and a comparison between their poetry. The study includes an introduction, two main discussions and conclusion. In introduction the motives behind choosing this subject and its importance and literature review is explored.

In the first discussion, Abū l-Hindi's poetic properties and the reasons he turned to KHAMARIAT poetry and his views towards life is examined and analyzed.

The second discussion, addresses the following questions: was Abu-Nuwas influenced by Abū l-Hindi, how much was the influence and are these adoptions in the form of copying poems or could they be perceived as "unity of thought" and "similarity in themes؟"

Finally the results show that unlike what Abu al-Faraj al-Isfahani concludes in "al-Aghani" and also, contrary to what Ahmad Abd al-Majid al-Ghazali as the gatherer of Abu-nawas poems writes, and different from the opinion of some of the contemporary critics, Abu-Nuwas' approach to Abū l-Hindi was only partial and never reached the point of plagiarism.

Key words : KHAMARIAT , Abū l-Hindi Riahi , Abu-Nuwas , intertextuality , plagiarism .

١- المُقدّمة

من المُوكد أَن في كلّ عصر في العصور تَحظيٰ فئة من الادباء والشعراء بمكانة يذكرها التاريخ والرّواة وتَتناولها الكتب فينفرد شاعر او اديب في عصره وفي نفس الوقت يغفل التاريخ والرّواة عن آخرين بينما لايقلّون قدراً ومنزلةً من الفئة الأولَيٰ بل قد يكونوا علي قدرٍ أكبر من المعرفة باللغة والادب، لكنّهم بقوا منسينَ و مُهمّشين لأسباب مختلفة وشاعرنا ابو الهنديّ من تُلك الفئة التي أَغفلها التاريخ الّا من صفحات قليلة أو نادرة في كتب التُراث.

لكنَّ اليوم ومن خلال دراسات وأبحاث الادب التطبيقي نجد ان لبعض هولاء الادباء والشعراء المَنسيين والمُهمشين أهمية بارزة وتأثيراً مَلحوظاً عَلَي التيارات الشعريه والأدبية وكبار الشعراء، لذا من الضروري اَن نَدرس ونُبين شعر وأدب هذه الفئة وابو الهنديّ يدخل في هذا المضمار نظراً الي اُسلوبه الشعريّ الرائع وابداعاته في مجال الخمريات وتاثيره البارز عَلَي الشعراء، الذين جاؤوا بعده لاسيما ابونواس.

يعتَبر ابو الهنديّ عَلَيرغم قلة ما وَصَلَ الينا من شعره (بسبب إهمال وعَدم رغبة الرّواة في جمعه) من الشعراء المُتميزين في مجال الخمريات حيث اَبدعَ صُوراً خلّابة وأجادَ في وصف الخمر ومجالسها إجادةً خاصّة. انَّ الاشعار المتبقية منه في طيات الكتب النَقدية والتاريخية والتي جَمَعَ اُغلبها الاستاذ عبدالله الجبوري في ديوان صَدَر في بغداد عام «١٩٦٩ م» تُخبرنا أَن مُعظم شعره اُختُصّ بالخمر والخمريات وتُظهر ذكاءه وفطنته في تجسيد هذا الموضوع وطرافته وابداعه في عَرض هذا الاسلوب. ومن خلال شعره يتَجلَي للقارِي والباحث انه لم يكن مُقلّداً صرفاً للشعراءالذين سَبقوه في هذا المجال وحاول ونَجَح في ادخال مضامين وافكار جديدة في شعر الخمريات.

ومما يوكد مكانة هذا الشاعر ومستواه الرفيع، تأثُّر عمالقة الشعراء كاَبي النواس المعروف بـ «رائد الشعر الخمريّ» بشعره واقتباس وتكرار مضامينه. هذه الدراسة تنوي ان تُبين وتُفسّر ابدعات ابي الهنديّ ومَدي' تاثيره عَلَي أبي نواس ودَوره البارز في الادب العزبيّ وخاصّة في مجال الخمريات. اذن تكمن أَهمية الموضوع في ضرورة التركيز والقاء الضوء عَلَي شَخصية وشعر أبي الهنديّ وابداعته الشعرية،لاَنَّ لهذا الشاعر دور بارز في تجديد الحركه الشعرية ويتمتّع بمكإنة مرموقة في مسيرة الشعر الخمريّ بشكلٍ خاصّ

والشعر العباسي عَلَي وجه العموم وتكشف ما وَصَل الينا مِن اشعاره صورة المجتمع وَمَدي التأثُّر بين الشعراء والتطوّر والتجديد في الصورة الشعرية وايضاً تَتبُّع قضية السرقات الادبية والشعرية ومَدي التأثير والتأثّر بين الشعراء.

١-١. اسئلة البحث

يستند هذا البحث علي سؤالين اساسيين:

الاول : ما هي ملامح الشعر الخمري عند أبي الهنديّ الرياحي وفلسفته تجاه الحياة؟

الثاني : ما مَدَي تأثُّر ابي نواس بشعر أبي الهنديّ الرياحي؟

١-٢. خَلفية البحث

هُناك دراسات وبُحوث مُختلفة ومُتعددة حَول الشعر الخمريّ في الأدب العربي اما الدراسات والأبحاث حول شخصية ابي الهندي الرياحيّ وتحليل خمرياته ومُقارنة شعر باشعار الشعراء الذين سَبقوه أو الذين جاؤوا من بعده فهي مَحدودة وتُكاد أن تكون معدومة.

ومن الدراسات القليلة التي تطرّقت الي موضوع شعر أبي الهنديّ الرياحيّ نستطيع ان نُشير الي مايأتي :

- إطروحة لجين محمد عرفان البيطار ، لِنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها المُقدمه (لجامعة تشرين ، اللاذقيه ، الجمهورية العربية السورية ، ٢٠٠٨ م) تحت عنوان : (مَجالس الخمر في الشعر الأمويّ) إذ تطرقت فيها الباحثة الي تحليل شعر الشعراء الذين أنشدوا خمريات في العصر الأموي .
- كتاب عبد الرحمان الصدقي الصادر عن دار المعارف (١٩٦٣ م) بمصر تحت عنوان : (ألحانُ الحان) الذي عَرَض فيه أهم الارتكازات الفنية التي اِرتكز اليها شعر أبي نواس كما بَينَ علاقته بشعراءعصره واثره فيهم وتأثّره بهم .
- مقال الاستاذ يوسف هادي پور نهزمي تحت عنوان : (دراسة نقدية في مبني' خمريات أبي نواس) المنشور في مجلة (اِضاءات نقدية ، ١٣٩٠ ش – ٢٠١١ م) والذي بحث فيه اهمية الشعر الخمريّ لَدَي' أبو نواس وتناول اشعاره مِن حيث الشكل والمحتوي' دون اَن يبحث او يشير الي اِقتباساته من الشعراء الأخرين ومَدَي تأثّره بهم.

اما هذه الدراسة فقد ذهبت الى ابدعات ابي الهنديّ الشعرية في مجال الخمريات وتحليلها ومن ثم الكشف عن مَدَي تأثّر ابي نواس رائد الشعر الخمري بشعر هذا الشاعر والنتائج الحاصلة من هذا البحث تكون جديدة ولَم تُدرَس من قبل.

وقبل اَن نَدخل في صُلب الموضوع، نَتطرق الي اخبار وسيرة ابي الهنديّ ونذكر ماجاء في كتب التُراث وأمهات المصادر العربية عن اسمه ولقبه ونَسَبه وسيرته .

٢- أبو الهنديّ ، حياته ونشأته :

(غالب ابن عبد القدوس) المعروف بابي الهندي الرياحي، فقد اختلفَ المؤرِّخونَ والرّواةُ في اسمه، فَنَريٰ تارة يسميه بعضُهم (غالب ابن عبد القدوس) كما عند ابوالفرج الاصفهاني صاحب كتاب الاغاني (ابو الفرج الاصفهاني، ١٩٦٢ م، ٢٧٤/٩)

وتارة يذكرونه بـ «عبد المؤمن ابن عبد القدوس» كما فَعَلَ ابن قتيبة (ابن قتيبه، ١٩٦٦ م، ج ٢ / ٦٦٣)

اما ابن المُعتز في كتابه (طبقات الشعراء) فَيقرّر اسمه بـ «عبدالله بن ربعي بن شبث» (ابن المعتز ١٩٧٦ م، ١٣٦) لكن اَكثر الرّواة يغلب عليهم تسميته بـ (غالب ابن عبدالقدوس).

وُلد ابو الهنديّ في الكوفة وتَرعرَع وسط ما كانت تَموج به من تيارات فكريه خاصّة ودعوات اجتماعية فتأثّرَ بها ولا يعرف تاريخ ميلاده الدقيق ومن المُرجَّح اَنّه وُلد في آواخر القرن الأول للهجرة وقد شَهدَ آواخر العصر الاُمويّ والعصر العباسيّ الاول.

يذكر في التواريخ أنه تَنقَّلَ الي سجَستان (هي منطقه تقع شرق ايران وتُسمَّي بالفارسية ((استان سيستان)) وتوثّقت صلاته بأمراء سجستان هناك، وكان يقدم عليهم مُتكرر، اشتهر ابو الهنديّ بالمجون وشُرب الخمر وبسبب بُعْده عن بلاء العرب وسمعته السيئة لَم يهتمّ الرّواة بِجَمْع شعرِه، رَغم جودة ما وَصَلَ منها وشهرته اَقلّ من مُعاصريه من الشعراء.

فَسَنة وفاته كسَنة ميلاده لَم يصرِّح بها أحد ممن تَطرَّق الي تَرجمة حَياته من أهل الأدب قديماً (غير اَن الاستاذ خير الدين الزركلي يجعل سَنة وفاته في نحو ١٨٠ هجريه وهذا التاريخ لا يتفق ورواية ابن المعتز والاصفهاني ... فَهو عندهما: اَدركَ دولة بني اميه وأَول دولة بني عباس ... ومن هذه الرواية يمكن تحديد سنه وفاته وحَصْرها بين

سنة (١٣٢ – ١٤٠ للهجرة ... وربما تعداها بعشر او اَقلّ)، ومما يوثّق ما نذهب اليه وفاة نَصْر بن سيار الذي عَاصَرَه والتي كانت في سنة (١٣١ هـ)» (ديوان ابو الهنديّ، المقدمه ص ٩).

٣- الدراسة والتحليل

٣-١. ابو الهنديّ وإبداعاته الشعرية

ابو الهنديّ كان شاعراً غريب في فطرته وعجيب في طريقة ونَمْط حياته ونَستطيع أن نقول عنه بأنّه تَفرّد بين شُعراء العربية بحياته الخّاصة التي جَعَلَ لَها اُسلوب مُمَيَّزاً لا يشبه فيه أحد ولا يقلّد انساناً. نَظَرَ الي الدُنيا نَظرةَ ازدراء فَلَم يأبه لَها ولا أهتمَّ بها، حياته ضحكة مُجلّجة وسكرة تَبدأ ولا تَنتهِي وليل ليس له صباح. اما عن ميزات شعره وابداعاته فلاشكّ اَنَّ ابا الهنديّ شاعر مطبوع، عذب الالفاظ، لطيف المعاني، جيد البديهة، يحسن التشبيه والتصوير، ويشير الدكتور شُوقي ضيف في كتابه (تاريخ الأدب العربي في العصر الاسلامي) لهذا الموضوع ويذكر: «اَنَّ ابا الهنديّ كان شاعراً بارعاً، قد وَهَبَ شعره جميعه للخمر وهو من هذه الناحية يعدّ مُتمماً للوليد بن يزيد إذ دَفَع معه الشعر العربي الي تمثل الخمرية بكل شياتها المعنويه والموسيقية» (ضيف، ١٩٦٣ م، ٣٨٦)

وقد قال ابو الفرج الاصفهاني في اغانيه انَّ ابا الهنديّ «اول مَن وَصَف الخمرة من شعراء الاسلام» (ابو الهنديّ ١٩٦٩ م، المقدمة ص ٩)

وهو يريد بذلك التغليب والتخصيص وفق التعبير الحديث لان ثمة شعراء كثيرين سبقوه في وصف الخمرة في بعض اشعارهم لكنهم لم يَتخصصوا ولم يتخذوها مذهباً وقد اَثَّر علي الشعراء العباسين الذين اتوا بعده كأبي نواس، ابي هفان، والخليع ... فَقَد بَرَعَ في هذال المجال وجاء بَصُور ومعاني جديدة و فذة مُعتمِداً عَلَي تجربته الغنيه في هذا الباب.

وقد ضَاعَ كثيرٌ من شَعرِه فَلَم يسلم منه الّا بقية باقية لا تَتَجاوز المئة وخمسة وسبعينَ بيتاً جَمَعها عبدالله الجبوري في ديوان ومن خلال هذه الابيات تَتَّضح لَنا نَظَرة أبي الهنديّ وفلسفته تَجاه الحياة.

ومن مميزات شعره انه وَهَبَ اَغلبه لِلخمر ووصفها وتوصيف مجالسها وأثرها عَلَي شاربيها وبيان خِصال النُدماء ... فمن مجموع كل شَعره الذي وصل لنا والذي يبلغ مئة وخمسة وسبعين بيتاً احتلّت الابيات الخمرية (١٤٢) بيتاً منها اَيّ اكثر من80% من مجموع كلّ ما وَصل الينا من شعره. مع انه لَم يستغنِ عن تجربة واُسلوب اَسلافه في بعض المضامين والافكار الّا انّه سَلك درباً جديداً ومَهنجاً مُبتدَعاً في مجال الخمريات إقتدي' به الشعراء الاحقينَ ونستطيع اَن نقول أنه وَضَعَ وغَرَس البذرة الأولية لِاستقلال الشعر الخمري في الحقبات التالية.

٣-١-١. الخمر والحبيبة

مِن ابرز المضامين الابداعيه لَدي'هذا الشاعِر هي خَلْق علاقة ثنائيه ومتماسكة بين الخمر والحبيبة وتواجدهما وحضورهما المتزامن واتّخاذهما عنصرانِ متلازمان حيث لايمكن التفكيك بينهما في اغلب الاحيان.

يصوّر ابو الهندي الخمرَ كأنّها صاحبة له، تَبعث فيه روح الطمانينة ويقتحم الأهوال في سبيلها فاذا وَصَل اليها إحتضنها، فيقول:

وفـارَة مسـكٍ مِـن عـذارٍ شَـممتَها ... يفـوح علينـا مسـكها وعَبيرهـا
سَـموتُ اليهـا بعـد أنْ نـامَ أهلُهـا ... غُـدوّاً ولَمّـا تُلـقَ عنهـا سُـتورُها

الي اَن يصل الي:

تَمُـجُّ سُـلافاً مِـن زقـاق كأنهـا ... شيوخ بني حام تحنّت ظُهورها
اُقبّلُـها فـوق الفِـراش كأنّهـا ... صَلاية عَطارٍ يفـوح زريرهـا

(أبو الهنديّ، ١٩٦٩ م، ٣٥)

فهنا لا نستطيع ان نُميز أنَّ الموصوف حبيبته اما الخمر التي يعشقها لتشابه و تقارب سماتهما. فابو الهنديّ يعامِل الخمر مُعامَلةَ المرأة التي يهواها ومما يلفت النظر في هذه المقارنة بين الخمر ومحبوتبه أنه لا يستطيع الاقبال عَلَي اَيٍّ منها اِلّا سرّاً (نَامَ أهالُها) وهذا دليل عَلَي ما يعانيه الشاعر للوصول الي ما يبتغيه (خمرته / معشوقته).

كما تدلّ هذه الابيات الي مكانة الخمرة العظيمة لَدي' هذا الشاعر وكذلك تُبين انها «مَخفية عن الاغيار» مخافه الأذي واللوم ... ونؤكد هنا اِن فكرة جَعْل الخمرة، حبيبة واعتبارها معشوقه، فكرة مُبتكرة ومن ابداعات ما جاء بها ابو الهندي.

كان ابو الهنديّ يتصوّر انَّ بلوغه اللذة المادية والجَسديه سَيخلِّصه مِن آلام الحياة ومشقاتها، فانحصرت لِذته في مجالس الخمر مِن خمر ونساء، تَتعانقان معه، لِتوصلاه اِلي اللذة التي تتجاوز آلامه في الحياة فَيقول:

انّمـــا العـــيشُ فتـــاة غـــادةٌ وقُعـــودي عاكفـــاً في بيـــت حَـــانٍ

أشربُ الخمرَ واعصي مَن نَهَي عَن طلّاب الراح والبيض الحِسانِ

(المصدر نفسه، ٥٣)

ظَنَّ الشاعر انَّ اللذة الماديه (المرأة، الخمر) هي طريق السعادة والفرحة وطالما أَمَل اَن يعيشها كي يشعر بانسانيه ونجاحه في التغلُّب عَلَي محن الحياة وصعابها إلّا اَنْ اللذة المادية التي انتهجها ابو الهنديّ في مجلسه بعيدة كلّ البَعُد عن الفَرحة «فهي شرارة نَشوة تُشتعِل في لحظة، اما الفَرحه فهي وُهج مُصاحب لكينونة الانسان» (اريك فروم، ١٩٨٩ م، ١٢٥) كما اِرتَبطتْ لِذته بالعطالة التي صَرَّح عنها بقوله (قُعودي عاكفاً)، فقَد أراد اَن يلغِي وجوده في الواقع بارادته كي يخلّده مستقبلاً، «فَحَكم عَلَي نفسه بالموت حَياً، وهي قمة الاغتراب الوجودي واخيراً يعترِف باللذة التي أَرادها، وهي اللاهية التي تشغله عن أُمور الدنيا، وتَعبث به» (لجين بيطار، ٢٠٠٨ م، ٥٤)

فيقوَل في هذا المضمار:

في حيـاتي لـذة اَلهـو بهـا فـاذا مُـتْ فَقَـد أودي زمـاني

(ابو الهنديّ، ١٩٦٩ م، ٥٤)

فنلاحظ انَّ الشاعر يؤمن بأن اللَهو هو اساس اللذة و كان يحرص عَلَي إِرتشاف آخر قطرة مِن الخمرة لذةً ولهواً مُعتقداً اَنّ ذلك مِن شأنه اَنْ يبعدَ عنه اَلألمَ بينما الخمر في واقع الأمر تُنتِج ألماً أشدّ مِن الألم الذي تُخفيه، فهو يعتقد بأنَّ الحياة قصيرة تُقتنَص فيها المَلذات إِقتناصاً، ولماذا يقبل الناس عليها مُتجرِجينَ مع اَنهم يرتكبون مِن الأثام والذنوب ما هو أَفضع وأقبحَ مِن شربها، فيقول:

أصبت عَلَي كبدك مِن بردها إن أَريٰ الناسَ يموتون
ودَعْ أُناساً كرهوا شُربها ليسوا بما في الخمر يدرونا

(المصدر نفسه، ٥٤)

٣-١-٢. الخمر وقضايا الحياة

وعند تصفُّح ديوانه نَرَي انه يبين دائماً فلسفته تجاه الحياه وكأننا نري' فيلسوفاً شاعراً، حيث يتطرّق الي مشاكل ومصاعب الحياة ويدلّي بحلولٍ لها. كذلك نراه حَائراً وجاهلاً تجاه مصيره ويريد الهروب مِن هذه الحيرة الضياع بالاتجاء الي الخمر واللهو فَنَجد أنّ القَلَق واضحاً والحيرة جَلية في طيات ديوانه مما يوضّح لنا ما يدور بفكره ويشغل باله مُكرراً، وهو قَلَقه وحيرته من مصيره وعاقبته وما الذي يجب اَن يفعل حيال ذلك فَيحاول ايجاد تفسيراً لِوقائع الحياة لكنّه لا ينفذ الي يقين شافٍ فَيسعيٰ الي التَخفيف من حِدّة وعيه بَعد ان تَستحيل عليه الحقيقة فَيريٰ في الخمرة وسيلة لِلهرب مِن هذه الحيرة والضياع:

رضيع المُدام فارق الراح روحه فَظلَّ عليها مستهلّ المدامع
أديرا عَلَيّ الكأس انّي فقدتها كما فَقَدَ المفطومُ دُرّ المراضع

(المصدر نفسه، ٤٤)

يجعل ابو الهنديّ الرياحي المادة لذة لَه ووسيلة لِتحقيق وجوده فَيستهلك المال الكثير للحصول عَلَي الخمر فَيروي لَنا قصة ويقول:

وصاحب حانوتٍ عَشوت لناره وقد مَالت الجُوزاء نحو المغارب
فَقال ألا عَجِّل لَنا النقدَ إنّنا أُناسٌ أخذنا بالكرا والضرائب
نثرتُ لَه عشرين بيضاً كأنّها عَلَي كفة الميزان زهر الكواكب
فصَبَّ لَنا حَمراء ينزو حُبابها إذا شَعشتْ بالدَنّ نَزوَ الجنادب

(المصدر نفسه، ١٦)

في هذه الابيات نُلاحظ اَنّ الخمرَ امتلكتْ شاربها واصبحت سَيدته اذ نَراها تُغالي بثمنها عَلَي لسان الساقي الذي ينفرد بالمُساوَمَة التي لا تَقبل النقاش والذي اَفصح عنها في قوله (أَلا عَجِّل) كي يرفع من شَأن خمرته ويصعِّد الشوق في طالب الخمر اما

«الرغبة في الحصول عليها فَقد ارتبطت بنثر الدارهم نَقداً، لَم نَلمح لها لوناً ولا هيئة ولارائحة فهي محصنة في دنّها لم يكشَف الستار عنها حتي ظهرت العشرون بيضاً وهنا نَتسأل لماذا صرَحَ الشاعر انَّ الخمر ما أرادته لو لا العشرون بيضاً؟ ربما اَراد الشاعر اَن يثبت وجوده وقوته في مجلس الخمر علَي مَبدأ (اَنا موجود بقدر ما املك و استهلك) إلّا اَن الاستهلاك هو مزيد من الاستحواذ ومن ثم يتحوَّل الانسان من مُمتلك الي مَملوك□ (لجين بيطار، ٢٠٠٨ م، ٥٦) ونَراه في اَكثر من موضوع يتحسَّر علَي فوات الوقت والاحساس بالشيخوخه، فَيندمُ علَي ذلك لِعدم اقتناصه الفرصة لِلتلذُّذ أكثر وأكثر:

يـا لِقـومي فَتَنـتني جـارتي ... بَعدَ ما شِبتُ وأبلاني الكبر
وأَتـتْ لـي سـنواتٌ أربـع ... بعد الستين تقضَّت لي أُخَر
بعـد مـا كنـتُ فَـتي ذا مـرةٍ ... بـين غـزلان أُثارتهـا البَطَـر
شـيبة أنكـرن حينـاً شـأنها ... وانـا القَـرمُ اذا عُـدّت مُضـر

(ابو الهنديّ، ١٩٦٩ م ، ٣٧)

وفي موضع اخر يكرر لوعته وحسرته علَي ما فات من ايام شبابه فيقول:

يبكي علَي ما فاته مِن شبابه ... بكاء أَسير في الصِفاد وفي القيد

(المصدر نَفسَه، ٣١)

فالشاعر جَعَلَ الالتذاذ والتمتُّع في الدنيا هَدفاً رئيسياً لَه ولا يقضي ايامه وساعاته الّا مُرافق للخمر واللذة ويراها سبيله الأبرز للتخلُّص من اليأس والحيرة «فالشاعر هُنا يصف حال الشيخ الذي يبكي شبابه الذي وَلَّ دَون شُربِه الخمر حَيث يعقد مقارنة بينه وبين الأسير الذي يبكي من وطأة الأسر.» (رزق المتولي، ٢٠٢٠ م، ٨٣٧٦)

فالشاعر لايطلب الخمرة في حياته فَحسب بل يرغبها ويتمنّاها بعد مماته ايضاً، والاغرب والأعجب ما يطلبه بعد موته حيث يوصِي ان يدفَن في معصرة للخمر ويكفَّن بورق الكرم واَنْ تكون الخمرة بجانبه واَن تُجعَل الكؤوس حول قبره فيقول:

اِجعلـوا اِن مُـت يومـاً كفـني ... ورق الكـرم وقـبري معصـرة
وادفنـوني وادفنـوا الـراح معـي ... واجعلوا الأقداح حَول المقبرة

انـــني أرجُـــو مِـــن الله غـــداً بعد شُرب الراح حُسن المغفرة

(ابو الهندي، ١٩٦٩ م، ٣٣ و ٣٤)

فهذه الابيات تَحمل طابع السخرية من الحياة كما تحمل الايمان باليوم الاخر وأمله بعفو البارِي وفي اَن تُغفَر ذَنوبه ومعاصيه وهذا ما انتهجه صاحبه ابو نواس ايضاً اي شرب الخمر والتمتع بملذات الدنيا وفي الختام طلب العفو والمغفرة وايمانه بعظمة الله وغفرانه وفي موضع آخر يشير الي هذا الموضوع مرة اُخري، حيث يقول:

واذا مُـــتّ اَضَـــجَعاني مِن عصير الكرم تحتي فرشاً

واقطعا لي كفناً من زقها واِطرحا منها عليه وارشُشَا

وادفناني يا نديميَّ الي جنبِ كرم فَرعَه قد عرّشا

ليظل الفرع مني ظاهراً ويروِّي الاصل مني العطشا

(المصدر نفسه، ٤١-٤٢)

ففي هذه الابيات نَراه قد ابتعد عن جوهر الوصية التقليدي الذي ينهي وجود الانسانِ فلقد أصبحت وصيته، التي تَرتبط بالخمر سبيلاً لِلوجود فهو يتحدّيٰ الموت بالخمر في وصيته التي تضمن تحصين قبره بعصير الخمر وان يكون كفنه مِن زق الخمر وهذه دلالة عَلَي منزلة الخمر في نفسه.

لَم يكن ابو الهنديّ سكيراً بالمَعني البسيط بل كان يجد في الخمرة أَنيساً وجليساً ورفيقاً يعينه عَلَي السفر في بيداء الحياة ولَم يأبه لِنصيحة ناصح أو لَومة لَائم بل كان يعتبر مَن يلومه ذا مرضٍ وغير سليم اذ ينعته (بالمريض) في قوله (يهذي كيف شَأ) والملفت لِلنظر جرأته في بيان رغبته في شُرب الخمر علانيةً والجَهر بها بل يذهب الي أبعد من هذا ويعتبر اَن قمة اللذة هو شُربها علانية والاِفشاء بها مع وجود حُرمتها شرعاً وعُرفاً فَيخاطِبُ نَديميه ويطلب منهما:

إمزجاها واسقياني واشربا ودَعا العاذِل يهذي كيف شَا

وافشيا السر فما يهنأُ لِي شُـــربها اِلا اذا الســـر فَشَـــا

(ابو الهنديّ، ١٩٦٩م، ٤١)

وكأنّه يريد اعلان تمرّده وعصيانه للشرائع والاعراف والخروج علي المجتمع وقوانينه فمِن اين أتَي كلّ هذا التمرّد والطغيان؟ هل مِن الممكن اَن يكون الاغتراب والعيش بعيداً عن موطنه الاصلي دافعاً وسبباً لهذا الطغيان فابو الهنديّ كما يقول صاحب «الاعلام» (عاشَ جُندياً مُغترباً بخراسان وسجستان، فُرِض عليه البَعث فرضاً» (زركلي، ٢٠٠٢ م، ٣٠٣/٥) وقد يكون ابوالشعر الخمريّ ابو نواس قد اقتباس هذا المعني من ابي الهنديّ عندما يقول:

أَلا فاسقني خمراً وقُلْ لي هي الخمر ولا تسقني سرّاً ذا اَمكن الجَهر

فكلاهما يتباهيان بشربها علانيةً غير مستورةٍ ويستنكرانِ شربها سرّاً وفي الخفاء. فالابيات المذكورة تعبّر عن ما يضمر في وجدانه ومكانة ومنزلة الخمرة عنده.

٣-١-٣. مكانة النديم اللامعة

اما موقف أبي الهنديّ مِن النديم فهو موقف خاص و مُميز، فيحسبه عُنصراً اساسياً ومكوناً رئيساً مِن مكونات المجلس الخمريّ ولَم تكتمل اللذة عند كثير من الشعراء الذين أنشدوا خمرّيات الا بحضور النديم ومرا فقته.

والجدير بالذكر ان الشعراء قد وضعوا اُسس وقواعد للمنادمة وعينوا شروطاً ومُواصفات مِن الواجب تُوافرها في النديم. وقد ذكرَ النواجي في كتابه (حلية الكميت في الادب والنوادر المتعلقه بالخمريات) بعض الصفات الظاهرية للنديم، حيث يقول:

«ينبغي اَنْ يكون حَسن النبرة نبيل الهمة، نظيف الكفّ، نقي الظفر، مُتعاهداً لتقليمه وتخليل أَصابعه وغَسْل يديه ومعصمه وتسريح لحيته، عطر البشرة، نظيف الوجه والشارب والأنف، نقي الجبين، مُستعملاً المسواك، نطيف الثياب والخ» (النواجي، ١٩٣٨ م، ١٤٦)

اما الاُهمّ مِن نظافة الوجه واليد والملابس، كانت الخِصال والصفات الاخلاقيه كالشجاعة، عراقة النسب، الكرم والاثيار وبذل المال والخ) من الشروط الضروّية التي يجب ان يتَمتع بها النديم والجليس فهو الذي يضفي عَلَي المجلس مظاهر الرُقي التي تَتَجلّيٰ بالحوار ومناقشة الظواهر التي تَهمّ الانسان ويسْعَي الي مُعالجتها، كما يمنع عن المَجلس الملل ويسْعَي الي رفع شأنه.

ابو الهنديّ كاغلب الشعراء الذين انشدوا خمريات اهتمَّ الي هذا الجانب ولَم يغفل اَهمية النديم والمُجالس وضرورة ان يكون أهلاً ولائقاً لمجلس الشراب والا فأنّه يرجِّح الخلوة واَن يكون وحيداً في مجلسه علَي شربها مع غير صالح وغير مُؤتمن فيقول في هذا المضمار:

يدي لاتعاف الكأس أُنسا بشربها ولكنّ تعاف الكأس مع دَنس وغد
علَي مثلها مثلي يكون مُنادمي فأن لم أجد مثلي خلوتُ بها وحدي

(ابو الهنديّ، ١٩٦٩ م، ٢٥)

وقد تنبّه ابو الهنديّ الرياحيّ الي مسئلة مهمة بَرزت في مجلسه مع النديم بوضوح وهي الحِوار، بوصفه حاجة انسانية وعنصراً رئيساً في تشكيل مجالس الخمر، لما يعطيه من طاقة يواجه فيها الانعزال ومخاطره ويثبت وجود الانسان في بعض الأحايين، فالشاعر يدرك اهميته ويلجأ اليه في بداية مجلسه ويكتفي بحوار الصمت، حيث يقول:

نَـدامَي بعـد ثلاثـه تَلاقـوا يضـــمهم بكـــوه زيـــان[1] راحُ
وقد باكرتها، فَتُركتُ منها قتـــيلاً مـــا اصـــابتني جـــراح
وقالوا ايها الخّمار مَن ذا؟ فقـــال، أخٌ تُخوَّنـــه اصـــطباح
فقالوا هاتِ راحَكَ اَلحِقْنا بـــه، وتعلّلـــوا ثـــم اســـتراحوا

(المصدر نفسه، ٢٠ و ٢١)

فَبدأ الحِوار بين النُدماء والشاعر صَامتاً يزيد في الاقبال علي الخمر ويدلّ علَي غربتهم ومُعاناتهم النفسية. وظَهَر الساقي أداة لِيترأسَ الحوار بينهما مدة ثلاثة أيام حَتي يملّ الشاعر صمت الحوار فَيستَسلم للوحدة ويعلِن استغناءه عن الخمر علَي الرغم من تعلّقه الشديد بها، ليبدأ الحوار الذي يرتبط بتكوينه الاجتماعيّ فَيقول:

فَقُلت لَـه، فَسّرحني إِليهم حَثيثـاً والسـراح هـو النجـاح

(المصدر نفسه، ٢٢)

وتَقول لجين بيطار في دراستها (مجالس الخمر في الشعر الأمويّ) حول هذه الابيات:

«نَلحظ لأول مرةٍ مشاعر اللهفة تجاه النديم وتَفوُّق الحِوار علَي الخمر الذي ما اعتدناه في مجالس الخمر وهذا ما يسوغ ظهورها للقضاء علي العزلة التي تقتل الانسان

وتهدم المجتمع.» (لجين بيطار، ٢٠٠٨ م، ١٠٥) اذن حَسَب روية هذا الشاعر فان النديم من الركاز الاصلية لمجلس الخمر ولايمكن الاستغناء عنه. وفي مكان اخر يفصح ابو الهنديّ عن العلاقه الحميمة التي تربط بين الندماء بعضهم بعضاً وتُؤلّف بينهم فَتَهَب الانسان القوة والراحة وتُعينه في مُواجَهة الصعاب والتغلّب عليها حيث يخاطب نديميه ويقول:

اَمزجاها واسقياني واشربا ودَعَا العاذل يهذي كيف شَا
وافشيا السّر فما يهنأ لي شربُها إلّا اذا السرّ فَشا

(المصدر نفسه، ٤١)

فُنلاحظ ان الشاعر لم يستطع الاستغناء عن نديميه في مجلسه الخمريّ لاهميتهما فهما رفيقا دربه ويستمدّ القوة منهما في تجاهَل اللائم كما ساعَداه في تعزيز جرأتهِ عَلَي شربِ الخمر علانية:

واذفناني يا نَديميَّ الي جنب كرْم فَرعه قد عرشا
لِيظلّ الفرع مني ظاهراً ويروِّي الأصل مني العَطشا

(المصدر النفسه، ٤٢)

وهذا ما ينفرد به ابو الهنديّ ولا نراه عند بقيه الشعراء حيث ان الشاعر لا يرغب اَن يفقد نَديمه حتي في الموت فَيطلب من نديمه ان يرافقه حتي قبره واحاطته بالخمر والكروم من كل جهة وصوب ما يظهر ان الشاعر لا يخاف ولايهاب الموت بلَ يخشَي غيابه عن مجلسه الخمريّ ولاسيما نديميه اللذينِ يمدّانه بالقوة والصمود وهو يدرك ان الموت هو الحساب لا الفراق وحَسب فيقول:

وكلاني بعد هاتيك إلي راحم يفعل فينا ما يشأ

(المصدر نفسه، ٤٢)

انه بموته يريد اَن يبشّر ندماءه بأن اللهَ سَيرحمه فَأختار من أسماء الله الحُسني (الراحِم) لاَن الله غَفور رحيم وهذه دَعوة لاستمرار الندماء في شُرب الخمر والتمسُّك بمجالس الخمر والاهّم من هذا انه لا يهمِل ندمائه ويذكرهم حتي في مماته وينصحهم ويطلب منهم ان يتمسكوا بالخمرة ويواصِلوا شُربها!

٣-١-٤. الفن القصصي

ابو الهندي شاعر قد مَال الي ضَربٍ من القّصص في شعره، ولاسيما عندما يروي مُغامراته في الحانات ومجالس الخمر مع ان هذا الاسلوب كان متواجداً قبله علي سبيل المثال نراه في بعض ابيات شعر الأعشي' والأخطل لكن ما نُلاحظه في ابيات متعددة في شعر أبي الهندي، يتميز بسلاسة وجمال الاسلوب وتوفر الايقاع ومتانة السبك فهو لا يتصنّع ولا يتكلّف ولا يجد مشقة في التعبير الشعري عن الموضوع الذي ملك عليه حياته وتخصّص فيه...،

يذكر اَن ابا الهنديّ اِشتَهيٰ الصبوح في الحانة ذات يوم، فأتَيٰ خَمّاراً بِسجستان في مَحلة يقال لها كوي زيان (وتفسيرها بالعربية: سكة او حارة الخُسران) كان يباع فيها الخمر والفاحشة، وطلب من الخمار اَن يسقيه ... فَجعَل يشرب حتي سكر ونام، فجاء قومَ يسألون عنه، فَصادفوه في تلك الحال فقالوا للخمار ألحقنا به، فَسقاهم حتي سكروا، بعد اَن افاق وانتبه ابو الهنديّ سَأل عنهم فَعرّفه الخمار خبرهم فقال له ابو الهنديّ: هذا هو الان وقت السكر، أَلحقني بهم فَشَرب حتي سَكرَ و نامَ فانتبهوا فَقالوا للخّمار: و يحك هذا نائمٌ بعد؟ فَأخبرهم حَديثه وكان حالهم هكذا ثلاثه أيام يبيتون في مَوضع واحد ولَم يلتقوا الي ان تَركَ أبو الهنديّ شُرب الخمر ليتلاقيٰ معهم ويحدّثهم ... . وفي ذلك يقول:

نَـدامَيٰ بعـدَ ثلاثـة تَلاقـوا ... يضـمُّهُم بِكـوه زيـان[٢] راحُ
وقـد باكرتهـا فَتركـتُ منهـا ... قتـيلاً مـا أصـابتني جِـراح
وقـالوا أيهـا الخمّـارُ مَـن ذا ... فَقـال أَخٌ تَخوّنـه اصـطباحُ
أدار الـراح حـتي أقعصَـتهُ ... فَخـرَّ كأنّـه عـودٌ شـناح
فقـال هـات ألحقنـا بـراح ... بـهِ وتعللـوا ثـمّ اِسـتَراحوا
فَلَـم يتمهَّلـوا حـتي رَمَـتهم ... بحـدٍّ سـلاحها ولهـا سِـلاح
وحانَ تَنبّهي فَسألتُ عنهم ... فقـال أتـاحهم قَـدرٌ مَتـاحُ
رأوك مُجدّلاً فآستخبروني ... فَحرّكهم إلي الشراب إرتياح
فقلـتُ لـه فَسـرَّحني إلـيهم ... حثيثـاً والسـراح هـو النجـاح

فَقال نَعم، فَقالوا أَلحقنا بهِ قد لاحَ لِلرائي صباح
فما أن زَالَ ذاكَ الدأب منا ثلاثاً يستغبُّ ويستباحُ
نَبيتُ معاً وليس لَنا إلتقاءٌ ببيتٍ مَا لنا منه براحُ

(المصدر نفسه، ٢٠ - ٢٢)

نَجد ان الشاعر اهتمّ واستخدم الأُسلوب القصصي في تقديم الموضوع ووظَّف عنصر المكان في المصرع الاول من القصيدة اي «كوي زيان» ليكون مسرحاً لسرد ما يخطر بباله كما لَم يهمل سائر الراكائز السردّية الاساسية كالشخصية والحوار والحدث ويلعب دور مميزا ويسجّل ويظهر واَدقّ الامور والاَحداث ومما لاشكّ فيه انه قد مَهّد وعَبّد الطريق في هذا المجال للشعراء الذين اتوا من بعده ولا سيما ابو نواس.

٣-١-٥. أُسلوب الهزل

مُؤشرة هامّة أُخرى يمكن ان نُلاحظها في اَشعار ابي الهنديّ هو عَرض بعض الفقرات الهزلية في ثنايا اشعاره الخمرية ويعتَبر ابو الهنديّ من أوائل الشعراء الذينَ أدخلوا المزاح والهَزل في شعر الخمريات فَنَراه في الابيات التالية ينصح مَن يشعر بالبرد بأن يشرب الخمرة ويلجأ اليها بدلاً من إلتحاف المَلاحف فَيقول:

اذا ما ألحَّ البَردُ فَاجعَلْ دثاره اذا التحفَ الأقوام رُكن المطارف
ثلاثة أَرطال نبيذاً مُعسلاً تَكن آمن منه لَه غير خائف
فان التحاف المَرء في جَوف بَطنه أَشدّ وأَدفأ من جياد الملاحف

(المصدر نفسه، ٤٤)

في هذه الابيات قد تَرك الشاعر صيغة الجد وإلتجاء الي' المزح والهزل ليدخل المرح والسرور في مجلس أُقيم لغرض ابعاد وازالة الحزن والكابة عن اصحابه.

٣-٢. مَدَى تأثُّر أبي نواس بشعر ابي الهنديّ

تُعدّ قضية السرقات الشعرية من اهمّ قضايا النقد منذ القدم الي يومنا هذا وقد اهتمّ بها وفَطَن اليها النُقّاد قديماً وحديثاً حتي لايكاد يخلو من ذكرها اَيّ كتاب نَقديّ فهو مَوضوع عَريض الجاه في الأدب العالَمي والعربيّ لِطول حياته وكثرة اَنواعه واتصاله بآداب عديدة وعلوم وفلسفات ...

والمُتأمّل في التراث الادبي يجده مَملوءً باحكام ادبيه تَتصلّ بقضيه التأثير والتأثر وربّما جَرّت الي أحكام ومُسلّمات يردّدها مؤرّخو الأدب ودارسوه ويحسبونها حقائق غير قابلة للبحث والتحقيق!

اما فيما تَيعلّق بِمَدَيٰ تَأثُرَ الشعراء الآخرين، ولا سيما أَبونواس بشعار واَفكار أبي الهنديّ فَنذكر أَولاً ما جاءَ في أُمهات المصادر العربية وكتب الأدب القديمة حَول هذا الموضوع، ثم نُقيمُ مُقارنَة ومُقايسَة بين اشعار أبيَ الهنديّ وأبي نواس لِيتَبين للقارِيء مَدَي تأثّر ابي نواس باشعار ابي الهنديّ وهل كان هذا التأثر، تأثّراً كلياً قد وصل الي حدّ المحاكاة كما زغَم بعض الرّواة كابي الفرج الاصفهاني وابن المعتز ... أَم كان تَأثُراً جزئياً كتأثّر ايّ شاعرٍ أو أديب بالشعراء والأدباء الذينَ سبقوه او مُعاصريه ... .

حول قضية تأثر أبي نواس بأبي الهنديّ الرياحيّ في شعره الخمري يدّعي ابن المعتز في طبقات الشعراء:

«كان جماعة مثل أبي نواس والخليع وأبي هيفان وطبقتهم، اِنّما اِقتدروا عَلَي وَصف الخَمر بما رأوا مِن شعر أبي الهنديّ وبما استنبطوا مِن معاني شعره» (ابن المعتز، ١٩٧٦ م، ١٤٢) كما يقول ابوالفرج الاصفهاني في كتابه المعروف «الاغاني»: «أَخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال حَدّثني فضل اليزيدي انه سمع اسحاق الموصلي يوماً يقول، وانشد شعراً لابي الهنديّ في صفة الخمر، فاستحسنه وقَرّظه، فَذُكر عنده ابونواس، فقال: «ومن اين أخذ ابو انواس معانيه الا مِن هذه الطبقة وانا اَوجدكم سَلْخَه هذه المعاني كلها في شعره، فَجعل ينشد بيتاً مِن شعر ابي الهنديّ ثم يستخرج المعني والموضع الذي سرقه الحسن فيه حتي أتي علي الابيات كلها واستخرجها مِن شعره»

(ابو فرج الاصفهاني، ١٩٩٣ م، ٣٢٩/٢٠)

والأُهمّ مِن الاقوال السابقة ما يعتقد به أحمد بن عبدالمجيد الغزالي مُحقّق ديوان أبي نواس حَيث يدّعي اَن تأثّر أبي نواس بشعر ابي الهنديّ تأثُرٌ خاصّ وعميق فقد أَورد في مقدمته للديوان النصّ التالِي: «وليس ما أخذه مِن غيره بالكثير ولا هو بأحسن ما تفرد به من معانيه، وقد مرّ خلال الشرح شيء مما اقتبسه ابو نواس من الشعراء السابقين كالأعشَيٰ والأخطل وابي محجن الثقفي والوليد بن يزيد وهذه لقلتها تنفي عنه تُهمة

القَصد الي ذلك، فقد وقعت له عفواً او من قبيل تَوارد الخواطر ... الّا أن شاعراً واحداً نستثنيه من هولاء، فَندكر ان الحَسن نَظَر الي شعره واُعجب بمعانيه واَغار عليه، ذلك هو ابو الهنديّ الرياحيّ شاعر الخمر قبل ابي نواس (ديوان ابي نواس، ٢٠٠٠ م، المقدمة: ق) والأغرب من ذلك في شرحه لِأحد ابيات ابي نواس نراه يسمّي ابا الهنديّ استاذ النواسي، فَيقول:

«في مثل هذا المعني يقول ابو الهنديّ استاذ النواسي» (المصدر نفسه، ٦٩٠) ولنضع هذ الاحكام موضع التحقيق، نُبينُ وندكر بعض النماذج لأشعارهما ومن خلال هذه النماذج وتحليلها تَتّضح الصورة اكثر ويتبين لنا مَدَي هذا التأثّر والتعلّق.

علي سبيل المثال يقول ابو الهنديّ في وصف الأباريق وتشبيها بالطير:

سَيغني ابا الهنديّ عن وطبِ سالمٍ أباريق لَم يعلق بها وضرُ الزبد

مُفَدّمة قَزّاً كأنّ رقابها رقاب بنات الماء أفزعن للرّغدِ

(ديوان ابو الهندي، ١٩٦٩، ٣٠)

ويقول ابو نواس:

في اباريق من لُجينٍ حسَان كظباء سَكنَ عَرْضَ القِفار

او كراكٍ ذُعِرن من صوت صَقْر مُفزعات، شواخِص الأبصار

(ابو نواس، ٢٠٠٠ م، ١٨٣)

وموضع اخر يبين التشابه بينهما حيث تَتشابه وصيتا الشاعرينِ تَشابُه قوياً، فأبو الهنديّ يوصِي فَيقول:

اذا حَانتْ وفاتي فَاذفنوني بِكرمْ واجعلوا زِقّاً وِسادي

وإِبريقاً اِلي جنبي، وطاسا يروّي هامتي ويكون زداي

(ديوان ابي الهنديّ، ١٩٦٩ م، ٣٣)

ويوصِي أبو نواس ايضاً، فَيقول:

خَليلي بالله لا تَحفرا لي القبر إلا بقطرَبُّل[٣]

خلال المعاصر بين الكروم ولا تدنياني من السُنبُلِ

لعلي اُسمع في حفرتي اذا عُصِرت ضَجّة الأَرجُل

(ابونواس، ٢٠٠٠ م، المقدمة (ر))

اذن كيفية عرض الموضوع وتوظيف التشبيه كانت مماثلة ومتطابقه بشكل عجيب بينهما والذي يجمع بين النصّين هو اِن ابا الهنديّ يطلب اَن يكون قبره معصرة ويكفَّنَ بورق الكروم وابونواس يختار مكان قبره في موضع معروف بصناعة الخمر آملاً ان يسمع ضَجيج اصحابها عَند عصر الخمور

ونجد اَنّ لدَ الاثنين وصية تُحدّدها حياتهما بعد الموت غير منقطعه عن الخمر وهذا يبين اهمية الموضوع لديهما.

ومما يبعِد أَن أبا نواس قد إقتَديٰ بأبي الهنديّ هو اَن هذا المعني قد ورد في شعر ابي محجن الثقفي ايضاً، حيث يقول:

اذا متّ فادفنّي اِلي أصل كرْمةٍ تُروّي عِظامي في التراب عُروقها

ولا تَـــدفني بـــالفلاة فـــانّني اخـــاف اذا مُـــتُّ أَلا أَذوقُهـــا

اباكرها عندالشرق، وتارة يعـــاجِلني بعـــد العَشِـــيّ غبوقُهـــا

(ابو محجن الثقفي، ٢٣)

و هذه الابيات قد تُقلّل فرضية انّ ابا نواس قد نَظَر الي شعر ابي الهنديّ في الابيات المذكوره اَعلي.

كذلك هناك اتفاق وتقارب بين شعر أبي نواس وشعر أبي الهنديّ في الابيات التالية التي تُبين دوران الارض بالمخمور وعدم احساسه بنفسه:

فَما هَجَم الصباح عَليّ حتّي رايتُ الارض دائرةَ الفِجَاجِ[٤]

(ابو نواس، ٢٠٠ م: ٩٣)

فهو قريب مِن قول أبي الهنديّ:

فما ذرّ قَرنُ الشمس حتي كأنّها أريٰ قرية حولي تَزلزَلُ دُورُها

(ابو الهنديّ، ١٩٦٩ م، ٣٧)

كما تَتشابه مُجاهَرة كلا الشاعرين بشُربِ الخَمر رغم تحريمها وكأنَهما يتَحديان المُجتمع والعرف والشَرع ... فيقول

ابو الهنديّ:

أمزجاها واسقياني واشربا ودَعَا العاذل يهذي كيف شَا
وافشيا السرّ فما يهنأ لي شربها الّا اذا السر فَشَا

(المصدر نفسه، ٤١)

وما اشبهَ البيت التالي لابي نواس با بيات ابي الهنديّ المذكورة اَعلي وكأنّه تكرار لِشعره:

ألا فاسقِني خمراً وقُلْ ليّ هي الخَمرُ ولا تسقِني سرّاً اذا أمكن الجَهْر

هذا البيت الذي يعتبر مِن اشهر ابيات شعر ابي نواس، ليس بجديد وليس مِن ما لم يصرح به شاعر قبله، ايّ ان اَشهر بيت من اشعار ابي نواس قد اُقتبس واُخِذت معانيه من شعر ابي الهنديّ

ومَوضع اخر يشير الي التشابه الكبير بين شعر هذين الشاعرين، هو البيت التالي، حيث يقول ابو الهنديّ:

مُفدّمةً قزّاً كأنَّ رِقابها رِقاب الكراكي أَفزعتها صُقورها

(ابو الهنديّ ١٩٦٩ م، ٣٥)

فالكراكي تَتميز بأنّها تُعدُّ مِن الطيور طويلة الأَعناق مُنتصبة الرقاب، وأبو الهنديّ يريد اَن يجعل الأباريق تهتزّ لِتنتشر رائحة خمرته وهذا لن يتحقّق إلا بفضل الصقور الشرسه التي تُؤثر في رقاب الكراكي فَتُحرّكها وقد اخذ أبو نواس هذا المعني في قوله:

لَدينا أباريق كأنّ رقابها رِقاب كراكي نَظرن الي صقر

(ابو نواس، ٢٠٠٠ م، ١٨٨)

ومن التشبيهات التي وَردت في خمريات ابي الهنديّ تشبيه وثبة فقاقيع الخمر بحركة الجراد، فيقول:

صفراء تنزو في الاناء كأنّها عين الجرادة او لعاب الجندب

(ابو الهنديّ ١٩٦٩ م، ١٦)

فيصف ابو الهنديّ خمرته باصفرار لونها عندما تُسال في الاِناء كأنها عين جرادة او لعاب الجندب والمعني نفسه أخذه ابو نواس وصاغه صياغة جديدة، في قوله:

تَنْزو فواقعها منها اذا مُزجِت نَزو الجنادب مِن مَرجٍ وأفياءِ

(ابو نواس، ٢٠٠٠ م، ١١٤)

والجدير بالذكر ان وصف نَزو الحباب وتشبيهه بنزو الجِنادب ليس مِن ابداعات ابي الهنديّ فقد ذُكر في شعر الشعراء الذين سبقوه فقد جاء تشبيه نزو الخمرة بنرو الجراد عند الأخطل حيث يقول:

تَنزُو اذا صُبَّ فيها الماء مَارجُها نَزْو الجَنادب في رَمضاءَ تَلتهبُ[٥]

(الاخطل ١٩٩٤ م، ٥٠٢)

ويستبعد الدكتور عبدالله بن سليمان في مقاله (مَدي تأثر ابي نواس بشعُر ابي الهنديّ) ان يكون ابو نواس قد اتّخذ من شعر ابي الهنديّ أنموذجاً يحاكيه ويستدلّ ويسند رأيه الِي أَن (بعد الشقة بين نتاجيهما كمّاً وكيفاً، هذا من جهة ومن جهة اخري فان ابا نواس استوعب التراث الخمريّ الذي خَلّفه الشعراء الذين برعوا في هذا الفن من اَمثال الأعشي والاخطل والوليد بن يزيد واضرابهم، وهو نتاج ثرٍ لايمكن موازنته بما خلَّفه ابو الهنديّ ...) (عبدالله بن سليمان، ٢٠٢٠: ٣٨٧) ويضيف هذا الباحث و يدعم رأيه المبتني علي عدم تأثّر ابي نواس بابي الهنديّ تَاثُراً يذكر فيقول:

«اذا مضنيا في استقراء ما خَلَّفَه الشعراء قبل أبي الهنديّ فاننا نَجد تُراثاً واسعاً، وَجَدَ فيه أبو نواس مادة ثرة جعلها لُبنة مِن لبنات بنائه الفنيّ واَضافَ اليها لُبنات اُخرَيٰ مُستفيداً مِن ثقافته العريضة في علوم الدين وعلوم اللغة وعَلم المنطق ومن معرفته الواسعة بالشعر العربيّ مِن تلك المسالك التي عبّدها له (بشار بن برد) في الشعوبية والمجون وعَمر بن ابي ربيعه في السرد الشعريّ وادخال الحوارات ورسم الشخصيات، مع مزجها بتجربته الخاصة وصفاته الشخصيه وشيء من تراكماته النفسيه التي اثَرت في صناعة موقف خاص مِن الخمر تميز به عن نظرائه، مع عناية بالافادة مِن تجربته الخاصة وتطويرها» (المصدر نفسه، ٣٨٧) والحقيقة ان تفرُد ابي نواس في شعر الخمريات وعبقريته في هذا المجال ليس بمانع مِن اَن يكون قد أخذ من سواه واَن يتأثّر بمعاني السابقينَ عليه ويحاكيها احياناً مِن غير ان ينتقص ذلك مِن قدره شيئاً فأن غناه في معانيه المُبتكرة في هذا النوع من الشعر يؤكد أنه لم يكن يتعمّد ذلك لِضعف في قدرته الفنية.

مما سبق يتضح لنا مدي التشابه والتقارب في بعض الابيات عند هذينِ الشاعرينِ وان

الشعر الخمريّ لابي الهنديّ كان له اثر في خمريات ابي نواس وان ابا نواس قد استقيٰ بعضاً من معانيه في وصف الخمر من ابي الهنديّ، لكن ليس بالصورة المُكبَّرة والمُبالَغ فيها التي وَرَدتْ في الاغاني وكتابات بعض الباحثين الآخرين فَالاتفاق في معاني جزئية محدّدة غير كافٍ للجزم اَن ابا نواس تأثَّر تاثُّراً كلياً بشعر ابي الهنديّ واقتَديٰ اَثره واتخاذه نموذجاً خاصّاً.

وفي الختام أودّ اَن أشيرَ الي قول عبد الرحمن الصدقي في كتابه «ألحان الحان» حول ما يقال في شأن أخذ المعاني وتوليدها بعد ان يستعرض سرقات ابي نواس ورأي الجاحظ فيها، حيث يقول:

«... وقبل ان نَدع مشكلة المعاني واصحاب غدرتها وما يقال في حق انتحالها وحقيقة نسبتها، نقول إن الناقد يعدومفصل الصواب اذا هو نَسَب هذا كلّه الي تعمُّد الشعراء لانتحال المعاني بعضهم من بعض، فأن الأمر - مع ما قيل فيه من المرخصة والتجويز - قد يكون أعمق من هذا أحياناً وأفسح، فَاشتراك المعاني قد يكون مَردّه في بعض الأحيان وحدة الشعور الانسانيّ كما يتبين ذلك في دراسة الادب المقارن في شَتيٰ اللغات لمختلف الأمم في سائر الزمان والمكان» (عبد الرحمان صدقي، ١٩٥٧ م، ١٦٠)

النتائج والتوصيات

تَوصّلت هذه الدراسة الي النتائج التالية

١. ان ابا الهنديّ حَذَيٰ حذو الشعراء السابقين عليه حيث تضمن شعره الخمريّ وصف الخمرة ومجالسها وندمائها وصفاتهم ووصف اواني الخمر وذكر اوقات شربها و وَظّفَ الهزل والقصة والحوار في خمرياته وهو كان مُبتكراً بعض هذه الاساليب أو مُوسّعاً للبعض الآخر وكان له دور بارز في تنمية الشعر الخمري واستقلاله

٢. انَّ ابا الهنديّ من الشعراء المُقلّين او بالأحريٰ ما وصل الينا من شعره قليل وعلي الرغم من قلة شعره، فَانّه اَبدعَ وجاء بمعانٍ فذة تأثّر بها لاحقيه وله دور مهم وبارز في تجديد الحركة الشعرية ويتمتع بمكانة متقدمة في مسيره الشعر الخمري خصوصاً والشعر العباسيّ عَلَي وجه العموم.

٣. لا تُنكرَ أهمية شعر أبي الهنديّ واثره في تشكيل صورة الخمر عند ابي نواس لكن لا نستطيع ان نجزم ان ابا نواس تأثّرَ تَاثُّراً كلياً وان ابا الهنديّ كان نمودجاً خاصّ له كما

أورد ابو الفرج الاصفهاني في (الاغاني) وأحمد عبدالمجيد الغزالي في مقدمة ديوانه ...

وتُوصِي هذه الدراسة الي أن يتدقَّق ويتأمَّلَ الباحثون الي الاحكام الفنية المبثوثة في كتب الادب والمصادر ولا ينظر واليها وكأنّها وحي مُنزل بل يضَعوها موضع التحقيق والتدقيق لِلتأكد مِن صحّتها.

هوامش البحث

١- الصحيح هو (كوي زيان) و الذي يترجم لِلعربية بـ (سكة أو حارة الخُسران). كما ورد هذا المكان بهذا الشكل في طبقات الشعراء لابن المعتز (القاهرة، تحقيق عبد الستار احمد، (دار المعارف، ١٩٥٦، . ص ١٣٦)

٢- الصحيح هو (كوي زيان) كما وَرَدَ تفسيره و توضيحه سَابقاً.

٣- قطربّل: موضع بالعراق تُنسَب اليه الخمر.

٤- الفِجاج: الطرق الواسعة بين الجبال.

٥- تنزو: تثب بعد المزج / الجنادب: جمع جندب، جراد معروف / الرمضاء: الارض الذي يشتدّ وقع الشمس عليها.

قائمة المصادر والمراجع

أولا – الكتب :

- ابن المعتز، طبقات الشعراء، تَحقيق عبدالستار أحمد فراج، دارالمعارف، مصر، الطبعة الثالثه، ١٩٧٦،
- ابن قتيبه، الشعر والشعراء، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ١٩٦٦ م، ج ٢،
- ابو الفرج الاصفهاني، مراجعة عبدالله العلايلي، موسي سليمان واحمد ابوسعيد، دار الثقافة، بَيروت ط ٣، ١٩٦٢ م، ج ٩،
- ابو الهنديّ، ديوان، تحقيق وشرح عبدالله الجبوري، مطبعة النعمان، بغداد، الطبعة الاولَي، ١٩٦٩ م،
- أبو محجن الثقفيّ، ديوانه، شَرَحَه: الحسن بن عبدالله بن سَهل، مَطبعة الإزهار البارونية، مصر، القاهرة،

- ابو نواس، الحسن ابن هاني، ديوانه، حَقّقه وضبطه وشرحه: احمد عبدالمجيد الغزالي، دارالكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٠ م،
- اريك فروم، الانسان بين الجوهر والمظهر، ترجمة سعد زهران مراجعة وتقديم لطفي فطيم، عالَم المعرفه، المجلس الوطني للثقافه الفنون والأدب، الكويت، ١٩٨٩ م،
- الاخطل، ديوانه، شرحه وصنف قوانيه: مهدي محمد ناصرالدين، دار الكتب العلميه، بيروت، ط ٢، ١٩٩٤ م،
- الزركلي، خيرالدين، معجم الاعلام، دار العلم للملايين، بيروت الطبعة الثالثه، ٢٠٠٢ م،
- النواجي، شَمس‌الدين محمد، حلية الكميت في الأدب والنوادر المتعلقة بالخمريات، المكتبه العلامية، القاهرة، ١٩٣٨ م،
- صَدقي، عبدالرحمان، أَلحان ألحان، دار المعارف، بيروت، الطبعة الاولَي، ١٩٥٧ م،
- ضيف، شوقي، تاريخ الادب العربي في العصر الاسلامي، دارالمعارف، الطبعة الحادية عشرة، ١٩٦٣ م.

ثانيا - البحوث والاطاريح الجامعية :

- المتولي، رزق، صورة الخمرة في شعر ابي‌الهندي، مجلة جامعة الازهر كليه اللغة العربية، العدد ٢٤، ٢٠٢٠ م،
- محمدعرفان بيطار، لجين، مجالس الخمر في الشعر الأمويّ. بحث لِنيل درجه الماجيستر في اللغة العربية وآدبها، جامعه تشرين، اللاذقيه (الجمهوريه العربيه السورية)، ٢٠٠٨ م،
- سليمان، عبدالله، حقيقة تأثّر ابن نواس بأبي الهنديّ (دراسة تحليلية)، مجله الاداب للدراسات اللغوية والادبية، العدد الثامن، المملكه العربية السعودية، ٢٠٢٠ م.